

الغريب

الأستاذ جورج مانتزاريديس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

الخليقة تعاني آلام خالقها. تحجب الشمس أشعتها. الأرض تهتز وحجاب الهيكل ينشق إلى اثنين "من أعلى إلى أسفل" (متى ٥١:٢٧). يُقتل المخلص ويوسف الرامي، وهو تلميذ سري للمسيح، يقدم نفسه لبيلاطس ليطلب جسد معلمه: "أعطني هذا الغريب"، صرخ، "الذي منذ طفولتيته تغرّب كغريب، أعطني هذا الغريب الذي أبناء جنسه حكموا عليه بالموت بغضاً كغريب".

يكشف تلميذ المسيح السري الاسم السري لمعلمه، الاسم الذي رافقه طوال حياته، من الطفولة إلى موته على الصليب: "غريب".

عندما ولد في بيت لحم، لفته والدته بأقماط ووضعته في مذود لأنه لم يكن هناك مكان في النزل (أنظر لوقا ٢، ٧): لقد كان غريباً.

جاء المسيح، ابن الله وكلمته، مخلص العالم، وعاش في العالم كشخص بلا مأوى، "غريباً منذ الطفولة" "الغريب" بشكل نهائي.

صانع العالم وخالق الجنس البشري "أتى إلى بيته* وخاصته لم تقبله" (يوحنا ١:١١). أتى زائراً لأقاربه ولم يرحبوا به. عاملوه كغريب وحسدوه وكرهوه واستهزؤوا به وقتلوه. إنه لأمر مرير أن تعيش في بلد أجنبي في مكان ما كغريب. بل والأسوأ من ذلك هو أن تعيش في وطنك كغريب بلا مأوى. أن يكون لديك شعبك، أن ينظر إليك أبناؤك بريبة وبغض مميت.

هذا كان نوع المنفى الذي اختبره الله عندما أتى وعاش كشخص بشري في العالم. هذه الغربة حتمت كل حياة المسيح على الأرض. الغربة التي أبعدت عنه حتى أقرب تلاميذه. إنها لغربة لدودة.

والآن، بعد صلبه وقتله، جاء يوسف المشير الشريف من الرامة (مرقس ١٥:٤٣) وطلب من بيلاطس الإذن بأخذ جثة هذا الغريب: "أعطني هذا الغريب لكي في لحد أواريه، إذ بما أنه غريب ليس له أين يسند رأسه".

"لِلْغَالِبِ أُوجِزَةٌ وَلِظِيُورِ السَّمَاءِ أُوكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ" (متى ٨:٢٠)، هذا ما قاله الغريب لأحد الفريسيين الذي طلب أن يتبعه.

في النهاية، أعطي هذا الغريب مكاناً يسند إليه رأسه من الكتبة والفريسيين: أعطوه الصليب. "وَأَسْنَدَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ." (يوحنا ١٩:٣٠).

هذا الغريب الذي عرف كيف يسكن "الفقراء والغرباء" أخذه يوسف من بيلاطس ليوضع في قبره. أخذه ووضعوه "في قبر جديد" (متى ٢٧:٦٠) هو "الذي يمنح الجميع الحياة الأبدية والرحمة العظمى".

"وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ." (يوحنا ١:١٢).

يوسف، الذي أخذ جسد المسيح وأضجعه في القبر، وفي الواقع، كل الذين يقبلونه ويؤمنون باسمه لهم "السلطان"، الحق، في أن يصبحوا أولاد الله، آلهة بالنعمة. إنهم يكتسبون "الحياة الأبدية والرحمة العظمى". "إِنْ لَمْ تَقْعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتْ فِيهَا تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ." (يوحنا ١٢: ٢٤). الحنطة التي سقطت على الأرض وماتت، الخبز الحي الذي نزل من السماء، قُدِّم "لحياة العالم" (يو ٦: ٣٥-٤١) وأتى بثمر كثير. لقد أنتج عدداً كبيراً من الأشخاص الذين ابتعدوا عن العالم وعاشوا في العالم كأنوار للعالم. كثير من الناس ماتوا عن العالم ليعيشوا. المسيح خضع طوعاً للموت لكي يحيا العالم.

* العبارة باليونانية تعني حرفياً "خاصته" هي مصطلح يعني "البيت". أنظر يوحنا ١٩: ٢٧.

Source: George Mantzarides, Professor Emeritus of the Theological School of the Aristotle University of Thessaloniki. The Stranger. Pemptousia. Religion / Theology. 14 April 2023.
<https://pemptousia.com/2023/04/the-stranger-2/>

